اشكالية تمثل الفكر النقدي العربي للسيميائيات.

الأستاذة: ليلى رحامنية
جامعة محمد الشريف مساعدية- سوق اهراس/ الجزائر

تعدّ السيميائيات من أبرز المناهج(النصيّة/ النقدية) في تحليل الخطاب السردي، وتعتبر مدرسة باريس من أهم المدارس التي قدمت لتحليل الخطابات السردية، والتي أسسها غريماس بالاعتماد على جهود سابقيه(الشكلانية، البنوية...)، بعد دراسة آرائهم ومناقشتها وإعادة النظر فيها، وجعلها تتضافر لتكون نظرية شاملة تحلل مختلف السرود العالمية. كما انتقلت مدرسة غريماس للتحليل السميائي إلى البيئة العربية فاجتهد النقاد العرب في تمثلها وتطبيقها على النص العربي ومن ابرز تلاميذها: السعيد بوطاجين، رشيد بن مالك، حسين خمري....

فما مدى تمثل هؤلاء الباحثين لقواعد مدرسة باريس السميائية؟ وكيف طبقوها على النص العربي في حين أن للمدارس النقدية نسقها الفلسفي وسياقها الفكري؟ وهل يغدو استيعاب المدرسة وفهمها بمعزل عن سياقها والسياقات الحتمية التي أنتجتها مجرد إجراءاتها تطبيقية وعبث؟ هل صحيح أن الفكر النقدي العربي ما زال يبحث داخل النص الأدبي؟ عن موضوع ثم يحاول أن يقارب تجلياته، في حين أن الفكر الغربي لحظة ظهور المناهج كان قد تجاوز هذه النظرة بعد أن كان لصدى الثورة العلمية تأثيرها الواضح على الفكر من اكتشاف القوانين المادية في عالم المادة هذا ما جعل الفكر يتجه إلى البحث عن القوانين التي يمكن أن تتحكم في الظواهر اللامادية كالأدب والفن عموما، فلم يكن هناك مدخل افضل من اللغة، فبدأ الاستثمار في أبحاث اللسانيات اللغوية في تحليل الخطاب الأدبي أي البحث عن الانساق داخل النص الأدبي المرتبط بشكل(نسق) و(شبكة) صارمة: الأصوات، الأفعال، الحروف، الزمن ما على الناقد سوى ان يفككه إلى أصغر وحدة، إن ظهور المناهج ليس ضربا من العبث بل هو محاولة للقفز في عمق النص.

ثم أتت السيمائية بتوجهاتها المختلفة فيما بعد محاولة استثمار(نسق واحد) هو نسق العلامات داخل النص المكون من مجموعة انساق.

بعد وصول المنهج السيميائي الى الساحة النقدية العربية انكب النقاد على التلقي النظري والتحليل الاجرائي للنصوص الابداعية الشعرية منها والنثرية، فظهرت جملة من المؤلفات نذكر منها: السيميائيات واستراتيجية بناء المعنى: نصر الدين لحيافي، التحليل السيميائي السردي لرواية اللص والكلاب: عبد المجيد العابد، المسار السردي وتنظيم المعنوي دراسة سيميائية لنماذج من الف ليلة وليلة: عبد الحميد بورايو، المكون السردي في النظرية السيميائية: رشيد بن مالك، التحليل السميائي للخطاب السردي في رواية الربيع العاصف لنجيب الكيلاني: دفة بلقاسم، دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة اين ليلاي لمحمد العيد: عبد الملك مرتاض، اضافة الى عبد الفتاح كليطو، وعلي العشي، سمير المرزوقي، محمد الماكري وسعيد بن كراد، عبد القادر فيدوح، وغيرهم.

وبهذا نجد ان البيئة العربية قد عالجت المنهج السيميائي منذ منتصف السبعينيات وأخذت تؤسس له في ثمانيات القرن الماضي بداية من المغرب وصولا الى المشرق من خلال أقلام النقاد الذين تمثلوا هذا المنهج كل حسب قدرته الاستعابية والتحليلية، وفي سياق هذا الاهتمام البالغ بالمنهج الوافد الا اننا لا نجد استراتجية ثابتة وموحدة بين النقاد، وهذا ما انعكس على مستوى التنظير والتطبيق بداية بترجمة المصطلحات السيميائية فنجد اختلافا وتعددا اذ هناك من اصطلح مصطلح علم العلامة وهناك من قال بمصطلح العلامتية والاشارتية والسبب هنا يعود الى نقطتين:

1- **فأما الاول** فهو تفاوت قدرة النقاد المعرفية والثقافية اذ نجد فيهم من يتعمق في فهمه والعودة الى الاصول الفلسفية التي ولد من رحمها هذا المنهج الاجرائي الذي يعتبر أداة لا غاية في حد ذاته، فيقترب من المنبع ليفهمه ويقاربه تنظيريا وتطبيقيا.

2- **وأما الثاني** فيتعلق بوجهة نظر بعض النقاد المتعصبين للتراث العربي فيحاولون نبشه حتى ينسبوا اليه كل جديد وافد، فيصبح المنهج الغربي ذو المرجعية الفكرية الغربية يقوض عنوة ويُرغم على الانسياب والتطويع ليخدم البيئة العربية، وكأن النص والمنهج يجمعان في قفص واحد ويجبران على التآلف.

ان كل متلق للمنهج الوافد الجديد، يحاول بداية محاكاته وذلك من خلال ترجمة أمهات الكتب التي أسست له، وهذا ما حدث مع النقاد العرب الذين شرعوا في ترجمة الكتب التي أصلت للسيميائية الغربية، وهنا يجدر بنا ذكر كتاب" محاضرات في الليسانيات العامة " فردنان دي سوسير الذي عربه يوسف الغازي ومجيد النصر بعنوان محاضرات في الالسنية العامة، كما عربه صالح القرمادي ومحمد الشاوش ومحمد عجينة بعنوان:" فصول في الالسنة العامة"، منشورات الدار العربية للكتاب في تونس، ثم عُرب مرة أخرى على يد الفلسطيني أحمد نعيم الكرعين بعنوان" فصول في علم اللغة، دون ان ننسى ذكر ترجمة كتاب " لذة النص" لرولان بارث مرتين على المغاربة فكانت الاولى على يد محمد البكري ومحمد الهروشي، والثانية بجهود فؤاد صفا والحسين سحبان، كما أُلفت كتب ومعاجم عديدة نذكر منها: دروس في السيمياء لحنون مبارك(المغرب) سنة 1987، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص(عربي/ انجليزي/ فرنسي) للدكتور رشيد بن مالك، وكتاب محمد السرغيني" محاضرات في السيميولوجيا" أما بالنسبة الي الجانب التطبيقي الاجرائي للمنهج السيميائي فنجد ان الناقد علي العشي قد حلل الجزء الاول من كتاب الايام لطه حسين، ونجد ايضا عبد المالك مرتاض قد طبق المنهج في كتابه دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة انت ليلاي وكتاب الف ليلة وليلة(تحليل سيميائي تفكيك) لحكاية حمّال بغداد. فقد ركزوا على المصطلحات التي تحمل المعنى الحقيقي للمنهج وتعبر عنه، اذ ان لكل منهج مصطلحاته الخاصة التي تحمل عمقا دلاليا واسعا وتختصر مفهومه وتختزل إجراءاته.

وبهذا كان المنهج السيميائي من بين المناهج النقدية التي أثارت أقلام النقاد وشغلت حيزا في الساحة النقدية العربية، ومن بين النماذج التي تمثل الفكر السيميائي عند العرب نجد تجربة " عبد الملك مرتاض" التي أثارت ضجة كبيرة وطرحت إشكاليات عديدة، وسنحاول تنظيم خطوات هذه التجربة كالاتي:

1- إشكالية المصطلح السيميائي: يقول مرتاض" أن أصل السمة في اللغة العربية ات من الوسم (و س م) وليس من التوسيم (و س م) وهو إحداث تأشير أو علم بكي أو وشم او قطع او نحوه"[1]، وهذا دعم لما جاء به الجاحظ من قبل، فقد صرح باعتماده مرجعية تراثية جاحظية من خلال قوله:" فلقد وجدنا الجاحظ يربط الدلالة باللغة السيميائية كما يربط

السمة باللغة على نحو ما في حديثه عن نظرية البيان"[2] فالجاحظ حسب رأي مرتاض قد جمع بين الجانب اللفظي والعملي للمنهج السيميائي وهذا ما تجلى في كتابه الحيوان من خلال قوله" الله جعل اللفظ للسامع وجعل الاشارة للناظر وأشرك الناظر واللامس في معرفة العقد الا بما فضل الله به نصيب الناظر في ذلك على قدر اللامس وجعل الخط دليلا على ما غاب من حوائجه عنه وسببا موصولا بينه وبين اعوانه.... ولم يجعل للشام والذائق نصيبا"[3] ذكر الجاحظ كل من السمع والنظر والسامع والناظر، وهي عناصر حركية فاعلة تنم عن الجانب العملي والتطبيقي للسمة، وهذا مما دفع بمرتاض إلى الحديث عن" أنواع التبليغ السيميائي فيجعل السمة اللفظية سمة- المنطوقة- أداة الاتصال بالسامع(المتلقي او المستقبل) فهي سمة مرموقة، في حين جعل سمة الاشارة للناظر وحده، وهو ما نطلق عليه نحن السمة البصرية"[4] فالسمة اذا هي ما كان اشارة مرئية او لفظة مسموعة، تدرك اما نظريا أو سمعيا وهنا تتجلى قيمة الحواس في العملية التواصلية.

نجد ان مرتاض يعود الى التراث العربي وهذا دليل على ثقافته التراثية وعمقها، وبما أنه ناقد يحاول التأصيل لمنهج نقدي فهو يوازي او يجمع بين الاصول الغربية والاصول العربية محاولة منه الوصول الى مطارحة نقدية متكاملة ومتجانسة، وهذا ما نلمسه من خلال اختياره مصطلح" سمة" مقابل المصطلح الغربي sign ويعود سبب الاختيار الى:

اولا- أن العلامة استعملت في الفكر النحوي العربي بمعنى لاحقة تلحق فعلا من الافعال او اسما من الاسماء- دون الحروف- فيستحيل من حال الى حال للنهوض بوظيفة دلالية يقتضيها المقام، ولعّل اصطناع ذلك المصطلح النحوي في اصله في المفاهيم السيميائية على عهدنا هذا قد يزيد هذا الامر اضطرابا والتباسا"[5] وهذا ما نجده في كتاب ابن منظور اذ ان السمة تعني العلامة:" وقولهم عليه سما حسنة معناه علامة وهي مأخوذة من وسمت اسم الأصل في سيما وسمى فحولت الواو من موضع الفاء فوضعت في موضع العين وجعلت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها. كما يقول ابن العربي: السّم العلامة على صوف الغنم"[6]، فكلا المادتين يستخرج منهما مصطلح" السيميائية" فاعتمد مرتاض كغيره من النقاد على مادة (س،و،م)[7]

اختار مرتاض مصطلح sign بدل عن مصطلح la marque لأنه وجد ان

" بيرس" قد استعمله في موضع واحد فقط، فمرتاض يتعامل مع القضية بأدق تفاصيلها اذ نجده يقف عند التمفصلات الصغيرة ويدقق في البحث بحسه النقدي المسؤول، وهذا الوعي هو الذي دفع به الى التوغل اكثر في حقيقة المصطلح عند الغرب، فأخذ عن" تودوروف" مفهوم السمة، واخذ عن" غريماس" ايضا تعريفه بان السمة:" شيء جيء به ليمثل شيء اخر"[8]، ان رغبة مرتاض البحثية تتجاوز هذا الحد فنجده يبحث حتى في الاصول الغربية للمصلح اذ انه يرجع مصطلح(semiotics/ semeoutique)(semiologie/ semiology) الى" الاصل الاغريقي المركب(semiotike) وهو من بلورة شارل بيرس (1839/1914) فهو الذي كان يعدهما بمثابة العلم الكلي للسمات الذي يشمل كل السمات"[9] فيما سلف اقرار من مرتاض بان مصطلح سيميائية قد شكّل مشروعا علميا مع بيرس وسوسير وهذا ما اجمع عليه كل النقاد العرب.

ففي نهاية القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين ارتبط ظهور علم العلامة بعالمين يرجع الفضل إليهما في ظهوره، حيث ينتهيان إلى علم واحد بمصطلحين شائعين هما " Sémiologie" من" Sémion" اليونانية حسب اللغوي فرديناند دي سوسير، والذي حصر هذا العلم في دراسة العلامات ذات الدلالات الاجتماعية، أو" Sémiotics" حسب " شارل ساندرس بيرس الذي جعل العلامة تدرس منطقيا. وفي نهاية الأمر حدد غريماس الفارق بين المصطلحين في اللغة الفرنسية، بأنْ جعل" السيميوطيقا" تحيل إلى الفروع؛ أي إلى الجانب العملي والأبحاث المنجَزة حول العلامات اللفظية وغير اللفظية في حين استعمل " السيميولوجيا" للدلالة على الأصول؛ أي على الإطار النظري العام لعلم العلامات، وفرق آخرون بين المصطلحين على أساس أن" السيميولوجيا" تدرس العلامات غير اللسانية، في حين تدرس" السيميوطيقا" الأنظمة اللسانية كالنص الأدبي. وينبغي الإشارة إلى أنّ السيميولوجيا السوسيرية تعنى بعموم العلامات في نطاق المجتمع، وهي بذلك ظاهرة سوسيولوجية والعلامة اللغوية عند سوسير مركبة من طرفين متصلين يمثلان كيانا ثنائي المبنى، الطرف الأول هو إشارة مكتوبة ومنطوقة أي الصورة الصوتية للمسمى، والطرف الثاني هو المدلول أو المفهوم الذي نعقله من الإشارة لها.

فسيميوطيقا بيرس اذا علم الإشارة الذي يستوعب العلوم الانسانية ويبحث عن

العلامات والتأويلات داخل النص، وهذا ما حقق للسيمياء استقلاليتها على يد بيرس الذي قام بدوره تقسيم العلامة الى ثلاث: الممثل يقابله عند سوسير الدليل، والموضوع الذي يقابله عند سوسير المدلول، أما المؤول فهو عنصر جديد لا مقابل له عند سوسير.

كما قسم بيرس العلامة الى ثلاث مستويات:

1/ الأيقونة Icon: وهي العلامة التي تحيل إلى الشيء الذي تشير إليه بفضل صفات تمتلكها تتمثل في علاقة تشابه بين المصورة والمشار إليه، مثل الصور الفوتوغرافية، والخرائط.

2/ المؤشر Index: وهو العلامة التي تدل على الشيء الذي تشير إليه بفضل وقوع هذا الشيء عليها في الواقع حيث" تكون العلاقة بين المصورة والمشار إليه سببية منطقية"(17) كدليل الدخان على وجود النار.

3/ الرمزSymbole: وهو العلامة التي تحيل إلى الشيء الذي تشير إليه بفضل القانون، وغالبا ما يعتمد على التداعي بين الأفكار العامة، ما يسميه بيرس باسم العادات، أو القوانين أين تكون العلاقة بين الدال والمدلول والمشار إليه محض علاقة عرفية غير معللة، كدلالة البياض على السلام.

كما ان للسيمياء ثلاث اتجاهات:

أ- سيمياء التواصل: وأهم روادها جورج مونانيوبريتو، يوبويسنس، ومارتينيه)،ويقوم هذا الاتجاه على أن وظيفة اللسان الأساسية التواصل.

ب- سيمياء الدلالة: يعدّ(رولان بارت) زعيم هذا الاتجاه حيث يرى أن البحث السيميائي هو دراسة الأنظمة الدالة وذلك من خلال التركيز على الثنائيات اللسانية: اللغة/ الكلام، الدال/ المدلول، التقرير/ الإيحاء، المركب/ النظام... إلخ.

ج- سيمياء الثقافة: يستفيد هذا الاتجاه من الفلسفة الماركسية، أهم روادها) يوري لوتمان أمبرتو ايكو، جوليا كريستيفا)، يقوم هذا الاتجاه على اعتبار الظواهر الثقافية موضوعات تواصلية، وأنساقا دلالية.

بجهود هوؤلاء وبالتراكمات المعرفية والابحاث العلمية الجادة، استوت السيمياء كمنهج مستقل بذاته يواجه النص الادبي ويسبر أغواره.

انتقلت هذه الجهود الغربية للبيئة العربية فاستفادوا من التنظيرات وبحثوا عنها في تراثنا

العربي رغبة منهم في تبني هذا المنهج والتأصيل له، نجد ان مرتاض ينهل من معن غربي وعربي على حد سواء دون تحرج، وهذا انعكاس لثقافته المزدوجة وامانته العلمية في محاولة جادة منه الى التأصيل لهذا المنهج النقدي.

ثانيا- طبق مرتاض المنهج السيميائي في كتابه" دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة" أنت ليلاي" وكتاب" الف ليلة وليلة- تحليل سيميائي تفكيكي- لحكاية" حمال بغداد"، واعتمد على العلامة كوحدة مستقلة بذاتها في النص للكشف بها عن نظامها وتعرية البنية الفنية للنص، ثم ان مرتاض قد تخبط في المنهج على علم ومعرفة رغبة منه في التأصيل لما هو عربي، فهو ممثل العرض النظري الخالص في الوقت الذي اتجه فيه الاخرون الى الترجمة مثل محمد برادة ويوسف حلاق وغيرهم.

كما ان هناك محاولات تطبيقية أخرى نذكر منها:

1- محمد مفتاح وكتابه" تحليلي الخطاب الشعري استراتيجية التناص" استهله بالجانب نظري حاول من خلاله التأصيل لقواعد المنهج بمنظوره الشخصي الذي قد يقبله البعض ويخالفه البعض الاخر وتحسبا للقبول او الرفض قال مفتاح" هذا الذي نحن فيه رأي لا نجبر احدا عليه، ولا نقول يجب على احد قبوله بكراهية"[10]

وقد قسم مفتاح دراسته الى قسمين:

الاول: يضم الجانب التنظيري وقواعد منهجية البحث والتي تتمحور حول: تحديد المفاهيم والمصطلحات المقصودة في الاصوات والمعجم والتركيب النحوي، ومحاولة الوقوف عند الأدوات البلاغية والتناصية والأفعال الكلامية التي من شأنها تجسيد مقصدية الاقناع.

والثاني: يتمثل في تطبيق الجانب التنظيري وجملة القواعد التي حاول المؤلف وضعها للانطلاق منها واعتمادها في تحليل النص، وهنا تتجلى سلطة النص في استدعاء عناصر دون اخرى في تحليله، فنجد ان مفتاح قد اعتمد طريقة الثنائيات لان النص شُيّيد على بنية ثنائية المتجلية في الحياة/ الممات، الطاعة/ المعصية، المدح/ الذم.......[11]، ومن هنا فقد كان على مفتاح قراءة النص بوجهي السلب والايجاب، مستحضرا في قراءته لمفهومي التشاكل والاشتراك، وبما ان القصيدة حوت الكثير من الاحداث التاريخية والشخصيات والاماكن... كان على مفتاح الاستعانة بما هو خارج النص وقد علل هذا" بانه لم يقصد الى التاريخ وانما

سعى الى عرض تقنية جديدة في التحليل تكشف مقاصد الشاعر الظاهرة والمضمرة"[12] ، فقد انطلق مفتاح من قواعد المنهج السيميائي لكنه ساير النص في تحليله مما استدعاه الاستعانة بما هو خارج النص للوصول الى تحليل متكامل ورسم فكرة واحدة واضحة. هذا ما ينم عن خبرته وقدرته على تحليل النص الادبي الشعري العربي دون تقويضه للمنهج الغربي.

تغلغل مفتاح في أراء النقاد المنظرين للمنهج السيميائي واستخلص انهم يتقاطعون في كثير من النقاط نذكر منها:

- اعتماد مفهوم التشاكل الذي يتيح للنص قراءات مختلفة
- النص الشعري عبارة عن لعبة لغوية
- قراءة النص الشعري بالارتكاز على ركيزتي التعبير والمضمون
- النص الشعري منغلق على نفسه ولا يحيل على الواقع الاّ ليخرقه
- جدلية النص والقراءة

وخلص الى ان كل النقاد وفقوا في جوانب معينة غير ان هذا لا يعني انهم وصلوا الى التأصيل لنظرية شاملة وكاملة، بل ان جهودهم بحاجة الى تطوير وتعمق فهي نسبية قابلة للتغير.

وهذا ما دفع به الى المزج بين اللسانيات والسيميائية في تحليله للنص الشعري، مركزا على ضرورة المام الباحث بالتيارات اللسانية التي تعمل على مساعدته في استخلاص أهم العناصر المساعدة في العملية التحليلية، وهنا كان عليه استيعاب جملة من العناصر التالية:

* اللغة محايدة بريئة شفافة(تشومسكي- كرايس)/ اللغة مخادعة مظللة تظهر غير ما تخفي (بارت وأضربه)

* اللغة تصف الواقع وتعكسه(الوضعيون والماركسيون)/ اللغة تخلق واقعا جديدا (الجشتالطيون والشعراء)

* الذات المتكلمة هي العلة الاولى والاخيرة في إصدار الخطاب(سورل- النظرية المقصدية)/ الهيئة المتلقية لها دور كبير في ايجاد الخطاب وتكوينه(نظرية التفاعل)

* الثنائية الضيقة(المناطقة والعلماء)/ الثنائية الموسعة(الاحتماليون)[13]

يتجلى لنا مما سبق بأنّه مؤلَّف" يقوم على أسس لسانية وسيميائية، كما نظن فبعد الدراسة يأتي ان البحث اللساني والسيميائي بنظريتين اساسيتين هما الوضعية والذاتية"[14]

ركز مفتاح في تحليله للقصيدة على الوقوف عند ثلاث بنيات اساسية:

* بنية التوتر: والتي تميزت بخاصية غنائية في مطلع القصيدة
* بنية الاستلام: تفردت بخاصية ملحمية في وسط القصيدة
* بنية الرجاء والرهبة: والتي اهتمت بالمأساوية في اخر القصيدة.

ارتبطت هذه البنيات فيما بينها لتشيد النص الشعري، وما يربطها أمران اثنان هما:

* الذاتية الغوية المبثوثة في القصيدة والتي تظهر بين الحين والاخر والمجسدة في التمني(ليت) وضمير(نا) واللقب(اللطيم) وفي بعض الاوصاف(ابن المصطفى) وغيرها.
* النزعة الصراعية المجسدة في مواجهة الانسان للدهر، ومواجهة الانسان للإنسان، وهذا الصراع له بداية ثم تطور مرحلي ثم النهاية، واذا ما اسقطنا هذه المراحل على حياة الانسان نجدها: ما قبل التكليف، ما بعد التكليف، وأخيرا الجزاء.

النموذج الثالث: محمد عزام: النقد والدلالة، نحو تحليل سيميائي للأدب[15]

كانت البداية تنظيرية في الفصل الاول حاول وضع حدود المصطلح وصلته بالعلوم الاخرى، أما الفصل الثاني قد وقف فيه عند حدود مناهج التحليل السيميائي للأدب(المنهج التحليلي التوزيعي/ المفهومي او التوليدي/ الاحصائي) اضافة الى حديثه عن المنهج السيميائي في تحليل الادب ومنهج(تل كال) في التحليل السيميائي للأدب، ومنه للرواية.

اما في الفصل الثالث تعمق في المنهج السيميائي في النقد العربي والمعاصر فخاض في:

* البحث الدلالي في الالسنية العربية متعرضا من خلالها الى جهود العرب القدامى والمعاصرين في البحث فيه.
* النقد الدلالي العربي القديم
* النقد السيميائي العربي المعاصر باتجاهيه: اتجاه التحليل الالسني في النقد السيميائي، واتجاه تحليل علامات الحياة الاجتماعية ورموزها في النقد السيميائي.

وفي الاخير وقف عند مقاربات سيميائية شملت اتجاهين: تحليل الادب وتحليل مظاهر الحياة الاجتماعية.

اختار عزام قصيدة" شاهين" للشاعر السوري" محمد عمران" المأخوذة من ديوانه " أغان على جدار جليدي 1968. معتمدا في دراسته مقاربة سيميائية ترتكز اساسا على بارت وغريماس اذ قسم النص الى" وحدات معنوية، قرائية، دالة، قد تكون الوحدة فيها كلمة او عبارة او عدة جمل، ثم تناقش كل وحدة قرائية على حدة، لاظهار ما فيها من تضاد وتناص وتكرار"[16]

وقد التزم في الجانب التطبيقي لتحليل البنية السطحية للقصيدة مركزا على مكونات الخطاب الشعري المتمثلة في العناصر الاساسية التالية:

1- المستوى الصوتي
2- المستوى المعجمي
3- المستوى التركيبي
4- المستوى الدلالي

يتضح من التحليل ان الناقد قد اعتمد على منهج لوتمان الذي يرى ان النص الشعري" نسق لغوي يقوم على مبدأ التشابه والتضاد، وينتظم عددا من الانظمة اللغوية التي تقع دائما في حالة تقاطع يتولد من خلال المعنى الذي لا يمكن فصله عن النص، وهو يؤكد ان طبيعة العلامات في القصيدة والانظمة الصوتية والايقاعية المتقاطعة التي تخلفها العلامات نفسها، هي التي تحدد معنى القصيدة، فالنص يحمل في ثناياه لغتين، ومعنى النص هو محصلة لتأرجح بين الشفريتين، بحيث يصبح النص الادبي حيزا سيميولوجيا، تتصارع فيه شفرتان للمعنى، ولا يمكن الاحاطة بالنص الاّ من خلال الاحاطة بلغتيه معا، في حال تفاعلها."[17]

فالمستوى الصوتي يعكس الاسماء والكلمات المعبرة عن المجسد في القصيدة(الجهاد الوطني في مقاومة الاحتلال على مستوى الشخصيات والمكان، فنجد ان اسم" شاهين" له مدلول الفلاح البسيط الذي يعبر عن الوطن وعن الارض. أما شخصية" سيفاتا" فاصل التسمية" سيفانا" وهي قرية جبلية في ساحل مصياف في السوري. واما الذئب فهو دليل البرية والانفراد لذا شبهه الشاعر بشاهين.

اما المستوى الموسيقي فيعمل على التأثير في نفسية المتلقي وجذبه بسلاسة

وسهولة من خلال التناغم الموسيقي الخفي الذي تحققه بعض تقنيات فنية الكتابة من تكرار وغيرها.

* ونجد ان المستوى المعجمي يجمع بين المستوى التركيبي والمستوى الدلالي، فالتركيبية ترى في المعجم اساسا جوهريا تتأسس عليه بنية الجملة النحوية ويتحدد معناها"[18]

" واما الزاوية الدلالية التي يمكن ان ننظر منها الى المستوى المعجمي فهي(الطريقة الادبية) التي تصبح امرا مشروعا مستمدا من المنهاجية التي تتحكم فيه ومن الغايات التي يتوخاها، والتقنية التي تبناها هذا التناول هي انه نظر الى المعجم على انه قائم على الكلمات المنعزلة التي ترددت بنيب مختلفة اثناء نص معين وكلما ترددت بعض الكلمات بنفسها، او بمرادفها، او بتركيب يؤدي معناها كونت حقلا او حقولا دلالية"[19]

وقد قسم مفتاح الكلمات الايحائية الى:

- الالفاظ القديمة السابقة لعصر الشاعر.
- الالفاظ المستحدثة، أو المستعارة من حقول معرفية أخرى.

اسماء الاعلام وتوظيفها، ودلالتها. (انت تعالجين التمثل العربي وليس الحضور السيميائي في النقد العربي اي تكتفين بالتقسيمات وتسميات الفصول فكلمة التمثل تعني الحضور+ كيفية الحضور...)

واما المستوى التركيبي فهو نوعان: نحوي وبلاغي، فأما النحوي حسب مفتاح فيتسم بالاصالة الاساليب العربية المعروفة من التقديم والتاخير والاستعارة والكناية والمجاز وكثرت الصور بخاصة منها التي تصف شاهين وكل الاحداث التي تدور حوله على اعتبار انه هو بطل القصيدة.

اما المستوى المعنوي فقد جعل له الباحث طرفين مرسل يبعث بقصدية معينة، ومتلقي يحلل الرسالة ويتفاعل مع الخطاب ويعيد تشكيله من جديد بناء على التراكمات المعلوماتية المخزنة في ذاكرته، فهو يقرأ ويغير ويصحح" ويتفاعل مع نفسه ومع غيره من النصوص حسب مقولتي الاختلاف والائتلاف ووفقا لمبدأ التناص"[20]، يتطلب ان يكون القارئ واعيا ومثقفا حتى يتمكن من تحليل النص واعادته الى عناصر الاولى التي ساهمت في تأسيسه وتشييده، ف عزام يوجهنا الى الاستعانة بالتناص لتحليل النص

الشعري الذي هو عبارة عن" فسيفساء من نصوص اخرى أدمجت فيه بتقنيات مختلفة"[21]

* تحليل البنية العميقة للنص: وهنا يبحث الناقد عن المعنى المصاحب للنص والذي يضمنه الكاتب لنصه فيختلف باختلاف قراءات النقاد على اعتبار ان القارئ ليس مستهلكا للنص بل هو منتج له على حسب رأي بارت.

النتائج المتوصل اليها:

يختلف وضع المصطلحات السيميائية في العالم العربي عن نظيره الاوروبي، فالتضاربات الموجودة بين المصطلحات المستعملة تعيق التأسيس لخطاب علمي دقيق، وضبط مفاهيمه وادواته الاجرائية الخاصة به، فقد رفض كل من" عبد الملك مرتاض" و" محمد عناني" و" سعيد علوش" و" صلاح فضل" و" عبد الله الغذامي" و" محمد عزام" مصطلح" سيمياء" واستعملوا بدلا عنه مصطلح" السيميولوجيا" و" سيميولوجية"[22]

ان تعدد المصطلحات يعكس صعوبة التمثل العربي لهذا المنهج الغربي، وهذا ما يضع المتلقي العربي في دوامة تحول بينه وبين فهم المنهج واستيعاب الياته الاجرائية،" فهناك عاملان اساسيان مسؤولان عن الخلط والاضطراب: اولا: التدفق المستمر في المصطلحات، الناجم عن التنوع الهائل في المجالات السيميائية، حشر المترجم العربي في موقفين، اما في موقف العاجز عن متابعة الترجمة والنقل واما في موقف العابث الذي يلهو في القاء الكلمات الرديفة اعتباطا، وثانيا اهمال التراث، ان لم يكن جهله، في علوم الدلالة والمنطق والبلاغة واصول التفسير، جعل الباحث العربي يستحدث مصطلحات غريبة أدت الى تشويش في الفهم بدلا من التواصل المطلوب"[23]

تلقى النقاد العرب المنهج السيميائي على انه منهج كامل وتام، في حين ان من اسسوا للمنهج صرحوا لأنها علم غير كاف يتطلب البحث الدائم والمستمر والجاد، فالسيميولوجيا على حد تعبير بارت" ليست فخا ميتافيزيقيا، وانما هي علم من بين علوم تعتبر ضرورية، لكنها غير كافية"[24]

اما بالنسبة للجانب التطبيقي فنجد ان محمد مفتاح قد قرأ النص من زاوية الثنائيات، الامر الذي قيد حركيته وجعله محدد المجال لا يقوى على تجاوزه، وهذا ما دفع به الى الاستعانة بالمرجعية التاريخية على اعتبارها المتنفس الوحيد الذي وجده الناقد ليخرج

من قيد الثنائيات.

اما بالنسبة الى محمد عزام فقد اعتمد على دراسة المستويات(الصوتي، التركيبي، المعجمي، المعنوي) غير انه لم يهتم كثيرا بالمستوى الصوتي فقد اهمل الحديث عن صفات الحروف التي تحمل في طياتها مدلولات مختلفة تعبر عن مكنونات النص، وعن ثقافات الشاعر التي اهملها في دراسته.

قائمة المراجع

1. الجاحظ: الحيوان، ج1.
2. ابن منظور: لسان العرب المحيط، دار لسان العرب، بيروت، ج3.
3. عبد المالك مرتاض: نظرية النص الادبي، دار هومة، الجزائر،2007.
4. عصام الدين ابو علاء: مدخل الى علم العلامات في اللغة والمسرح، مكتبة الشباب، الهيئة العمة لقصور الثقافة، مصر، 1996.
5. عصام خلف كامل: الاتجاه السيميولوجي ونقد الشعر، دار فرحة للنشر والتوزيع، 2003.
6. محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري، استراتجية التناص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،1992، ط3.
7. محمد عزام: النقد والدلالة، نحو تحليل سيميائي للأدب، وزارة الثقافة، دمشق، 1996م.
8. يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي، جسور للطبع والنشر، ط3، أكتوبر 2010.

الهـوامـش:

1 عبد المالك مرتاض: نظرية النص الادبي، دار هومة، الجزائر، 2007. ص147.
2 المرجع نفسه، ص166.
3 الجاحظ: الحيوان، ج1، ص 45-46.
4 عبد المالك مرتاض: نظرية النص، ص167.
5 المرجع السابق، ص148.
6 ابن منظور: لسان العرب المحيط، دار لسان العرب، بيروت، ج3، ص927.
7 عبد المالك مرتاض: نظرية النص الادبي، ص147.
8 المرجع نفسه، ص153.
9 المرجع السابق، ص158.
10 محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري، استراتجية التناص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1992، ط3، ص5.
11 المرجع السابق : ص 5،6.
12 المرجع نفسه: ص6.
13 المرجع السابق: ص14،15.
14 المرجع نفسه: ص167.
15 محمد عزام: النقد والدلالة، نحو تحليل سيميائي للأدب، وزارة الثقافة، دمشق، 1996م.
16 المرجع السابق، ص130.
17 المرجع السابق، ص70.
18 المرجع نفسه، ص134 بتصرف.
19 المرجع السابق، ص135.
20 عصام الدين ابو علاء: مدخل الى علم العلامات في اللغة والمسرح، مكتبة الشباب، الهيئة العمة لقصور الثقافة، مصر، 1996.

21 محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، استراتجية التناص، ص 121
22 يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي، جسور للطبع والنشر، ط3، أكتوبر 2010، ص101.
23 عصام خلف كامل: الاتجاه السيميولوجي ونقد الشعر، دار فرحة للنشر والتوزيع، 2003. ص118.
24 المرجع نفسه، ص125.